بيئات التربية الإسلامية

الدكتور حميد الله عبد القادر*

يقصد بالبيئات الأمكنه التي تتم فيها العملية التربوية لما لتلك البيئات من وظائف تربوية تقوم بها مع التركيز على الصفة التربوية لهذه البيئات وتشمل هذه البيئات الأسرة والمسجد والمدرسة والمجتمع

أولا: الأسرة

تعتبر الأسرة المكونة من الأبوين أقدم مؤسسة إجتماعية للتربية عرفها الإنسان اذ أنها كانت ولا تزال المؤسسة الوحيدة التي تعلم وتهذب الطفل وتنقل إليه عن طريق الأب خبرات الحياة ومهارتها المحدودة ومعارفها البسيطه وكانت القبيلة هي التي تساعد الآباء في عملية التربية وكثيرا ما كان الابن وارثا لمهنة والده التي تعلمها ومارسها معه ولا زالت الأسرة في المجتمعات المتخلفة هي مصادر التربية والمعرفة بالنسبة لأبنائها.

كانت الأسرة تقوم بواجب التربية من الناحية الصحية والجسمية، فيوفر الأبوان لطفلها الطعام والشراب والكساء والمأوي ثم تعليمه المهنة التي يعيش بها في المستقبل وغالبا ما تكون مهنة الوالد على حين تتعلم البنت أمور البيت وقد تساعد في أعمال الزراعة مع أمها، ولكن تطور الحياة جعل الأسرة تسعي إلي تعليم ابنائها وأصبحت المدرسة المؤسسة الثانية بعد الأسرة.

وأول الحاجات الضرورية التي يجب أن توفرها الأسرة هو حاجة الطفل إلي الحب

---

* استاذ ادارة العلوم الإسلامية

الله تعالي: ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة[1]، لأن هذه المؤدة بين الوالدين تنتقل إلي الأولاد فتسود المحبة جوالعائلة وقد أثبت الدراسات النفسية أن الطفل إذا أحس بفقد العطف والحنان والرعاية ترجم ذلك في تصرفات يريد بها أثارة الانتباه واستددرار عطف والديه ثم تنعكس هذه الآثار في مستقبل الطفل فيصبح قاسيا في سلوكه ساخطا على المجتمع. ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام أرحم الناس بالأطفال وقد كان الرسول (ص) نموذجا لما يجب أن تكون العلاقة الأسرية بين الأبناء والآباء فقد كان يحنو على الحسن والحسين - رضي الله عنهما... يمتطيان ظهره الشريف فيحبوا بهما ويخاطبهما وقد أطال الرسول (ص) السجود مرة فسئل عن ذلك فقال: إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجل حتي يقضي حاجته[2] وقد حدث أنه كان يقبل الحسن وعنده أعرابي يتعجب من ذلك ويقول للرسول صلى الله عليه وسلم إن لي عشرة أولاد ما قبلت أحدا منهم قط، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم[3] " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[4] " وكان صلى الله عنه عليه وسلم رحيما بالصبيان عامة يسلم عليه ان رآهم ويتسابق معهم ان رآهم بتسابقون ويلتقي بصبيان أسرته اذا عاد من سفر ويركب على ناقته من يلقاه منهم.

ان الإسلام عندما وضع على عاتق الأم أعظم مهام الحياة وهي التربية للأجيال وبناء الإنسان كان ذلك من معرفة الإسلام بأن التربية الصحيحة لا تتوفر إلا في الأسرة التي تستطيع المرأة فيها أن تعطي وقتها لبيتها وزوجها وأطفالها وان توفر لهم جميعا المأوي الدافئ والجو الملئ بمعاني العطف والمودة والرحمة.

ان واجب الأسرة في الإسلام توجيه الأطفال الي الصلاة وعبادة الله،: وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها[٥] ومراقبة تنفيذ هذا الأمر وأخذهم بشدة في سن العاشرة والتفريق بينهم في المضاجع. واجب الأسرة الاهتمام في رياضة الأطفال يقول الغزالي: أعلم ان الطريق في رياضته الصبيان من اهم الأمور وأوكدها،..... ورياضته بأن يؤديه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء[٦]،

ويمنع أن يتبدئ بالكلام، ويعود الا يتكلم الا جوابا وبقدر السوال ويحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه، ويوسع له المكان، ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه... وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبة... والا يسامح في ترك الصلاة والطهارة، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان.

ان الاسرة التي تقوم بالواجبات التي سبق ذكرها والتي هي جماع لما يسمي الآن بالتربية الخلقية والجسمية والعقلية والاجتماعية ـ لهي أسرة مثالية قادرة على تخريج رجال نافعين لأنفسهم ولأمتهم وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم واجبات الأسرة نحو أبنائها فيما ذكرنا من الرحمة والشفقة والعطف عليهم لأن تلك تعطي الأطفال الاطمئنان النفسي والثقة بالذات... والنشأة السوية الاهتمام بالواجب كما دعا الإسلام الي التعويد الي الصلوة باعتبارها عماد الدين.

وأهم واجبات التربية الأسرية أيضا التربية الإيمانية للطفل وذلك بتوجيه عواطف الطفل نحو حب الله وحب رسوله واخباره بأن الله يجب أ يكون أحب إليه من أمه وأبيه ونفسه التي بين جنبيه والي جانب عاطفة الحب تكون عاطفة الخوف من الله لأن العاطفة الأولي تؤدي الي طاعة الله

والعمل بما امروالثانية تؤدي الي البعد عن المعاصي قولية وفعلية ظاهرة أو باطنة.

وعلى الآباء أشعار ابنائهم بأن حبهم لله ينشأ من حاجتهم الدائمة إليه هم وآباءهم لأن كل شيء بيد الله الأحياء والاماتة والشقاء والسعادة، والرزق والنعمة والهداية والضلال وهذه الحاجة هي التي تجعلنا نحبه اولا ونقوم بواجب الشكر ثانيا من اتباع ما امر واجتناب لما نهي. وينبغي للوالدين توجيه الطفل الي بعض الأحاديث مثل الحديث القدسي: يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفرلكم، يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقي قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص من ملكي شيئا - يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أو فيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلو من الا نفسه[٧]،

ان غرس الإيمان الحقيقي في نفوس الناشئة والإيمان المطلق بالله بصفاته الثابتة له وحبه والخضوع له والخوف منه والا لتجاء إليه في كل أمر هو سر السعادة للأبناء والأسرة خاصة إذا أثبتت العقيدة بالطرق التربوية السليمة التي تقوم على العاطفة والعقل والعلم والحكمة حتي يكون الإيمان هو مصدر السلوك وموجه الإنسان في الحياة. فيبغي علينا ان نربي اولادنا بالتدريج من تلقين كلمة لا إله الا الله ثم أمرهم بالصلوة، والاهتمام بتلاوة القرآن الكريم وتعريف الأطفال بالحلال والحرام.

ان الأسرة هي البيئة الأولى التي يتعلم فيها الطفل فإذا وجه الأبوين الصالحين اللذين يرعيان ويوجهان ويحسنان التربية نشأ الأطفال نافعين لأنفسهم ولأمتهم ومطيعين لربهم منجين لأنفسهم وأهليهم من عقاب الله وسخطه.

ثانيا: المسجد:

اخذت الكلمة من أصلها الاشتقاقي وهو السجود لله سبحانه وتعالى فكان المكان الذي يخضع فيه الإنسان ويخشع لله هو المسجد، ومسجد قباء هو أول مسجد في الإسلام أسس على التقوي من أول يوم مما جعل المسجد على مرالعصور رمزا لحضارة الإسلام واماكن التربية والعبادة للمسلمين. وقد ذكرالله سبحانه وتعالى المهام التربوية التعبدية للمسجد فقال: في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها إسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وإيتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار،[٨]... وقد وردت لفظة مسجد بالمفرد والجمع ثمان وعشرين مرة في القرآن. ويمكننا ان نحدد مهام التربوي الوظيفية للمسجد من خلال القرآن والسنة فيما يلي:

(١) ـ المسجد مكان الصلوة والذكر والعبادة والاعتكاف، وقد وردت الآيات في القرآن الكريم[٩]

(٢) ـ المسجد مكان العلم والتعلم وأول ذلك دراسة القرآن الكريم بقول الرسول عليه الصلوة والسلام: وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا ونزلت عليهم السكينة ـ وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده[١٠]

المسجد مكان القضاء والحكمه والشوري ومجمع للوزارات الإسلامية

فقد كان لمسجد هنو مكان الحاكم والمدرسة التي تربي فيها الرعيل الاول من الصحابة إيمانيا وروحيا وخلقيا واجتماعيًا وتفاعلت أرواحهم ونفوسهم بتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وعطائه وقدوته تعلموا فيه امور الدين وعرفوا فيه الحلال والحرام كما تعلموا فيه علوم القرآن والسنة والشريعة واللغة وعلوم الحياة كلها وتحققت فيه معاني الأخوة ممارسة واقعا وتعاونوا على البر والتقوي واطمأنت فيه قلوبهم بذكر الله. وكل خليفة يلقي بيان سياسته وأسس حكمه فيه ابتداء بأبي بكر الصديق وفيه تقاضي المتناز عون ففيه اصدرت الأحكام بأقامه حدود الله وفيه قاضي كعب بن مالك رجلا دينا كان له عليه في المسجد فارتفعت أصواتها فنادي رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: يا كعب ضع عن دينك هذا، فقال قد فعلت يا رسول الله فقال قم: فاقضه[11]. وكان المسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانا لايواء الفقراء والغرباء الذين عرفوا بأهل الصفة بالمكان الذي خصص لهم وقد جلس بعض الأسري وفيه كان الجرحي يداوون فقد روت عائشة فقالت، أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق في الأكحل فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعود من قريب[12]. وأن المسجد يمكن أن يؤدى دوره الأول في حياة المسلمين وتربية أبنائهم وتوجيههم في النواحي الروحية والأخلاقية والاجتماعية حيث يتعلم فيها ويستمع الي الموعظة النافعة ويخطط فيها لرعاية الشباب وممارسة نشاطاته ويتعلم فيها النواحي الدينية وما يتعلق بمناهج الحياة وأمور التشريع أن المسجد يمكنه ممارسة مهامه الأولي في التربية

ولا يمكن للناشئة أن يكونوا على صلة بالمساجد ما لم يكن الأباء قدوة لهم في ذلك... يشجعونهم يأحذونهم معهم ويربطونهم بدروسه ونشاطاته المختلفة حتي

ينشأ الشباب في رحاب الله وفي بيت من بيوته.

ثالثًا: المدرسة:

إن المدرسة: إن المدرسة مؤسسة اجتماعية حديثة العهد في العالم فكما ذكرنا اهمية الأسرة والمسجد في تربية الأولاد وبتطور الحياة أصبحت الحاجة مأسة إلي اتخاذ مكان يتعلم فيه الصغار وإلي اشخاص ينوبون عن المجتمع في أداء هذه المهمة. و لم يعرف المسلمون المدرسة بالصورة التى نعرفها إلا فى القرن الخامس الهجرى نسية إلى ارتباط التربية والتعليم في الإسلام بالمسجد وكان للمسجد دوره الذي ذكرناه في تحمل مسئولية نشر الثقافة الإسلامية والمعارف الإسلامي وكان كثير من العلماء يرون عدم تدريس الأولاد في المساجد لتزايد أعدادهم وما يحدثه وجودهم في المسجد من حركة وضجيج زيادة على كثرة المواد التى تدرس وما يترقب عليها من نقاش وحوار وجدل ومناظرة مما جعلهم ينشئوا المدارس مرتبطة لايواء الطلاب والمدرسين وما يتبع ذلك من مرافق كالمطبخ وحجرة الطعام وغيرها[١٣] ومع ذلك ظل المسجد الجامع في حياة المسلمين منارة العلم واشعاع النور.

إن للمدرسة الإسلامية بعض الوظائف المهمة التي نذكرها:

١ـ اختيار المنهج الدراسي الإسلامي:

اذ ان المناهج الدراسية لدي المسلمين كانت تراعي عدة أمور من أهمها مراعاة ميول أطفال ورغباتهم ومراعاة الفروق الفردية اذان الطفل يفهم ما بامكانه أن يفهمه والاختلافات الفردية قد ترجع إلي طبيعة التربية أو البيئة أو السن أو مستوي الذكاء ولذلك طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من سيدنا عبد الله بن عباس ان لا يحدث الناس بما لا تحتمله عقولهم والشرعية الإسلامية تراعي الاستعدادا

الشخصي في العبادات فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه مانهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم بأمر فافعلوا منه ماستطعتم[١٤]

ويقول الغزالي في ذلك: وكما الطبيب لوعالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم. كذلك المربي لوأشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وامات قلوبهم وإنما ينبغي أن ينظر في مرض المريض وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة ويبنى على ذلك رياضته[١٥]

والقرآن الكريم يقول مبينا هذه الفوارق في الأستعدادات: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به[١٦] ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: مثل ما بعثني الله من الهدي والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منهاأمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصابت طائفة أخري إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به[١٧] وفي أحاديث كثيرة يطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من المسلم الا يذل نفسه بتعريضها لما لا تطيق من البلايا كما يطالب القصد في كل شيء.

٢ـ مراعاة الطبيعة النفسية للبشر:

وهذا يتطلب من المدرسة أن تكون بعيدة عن العنف والقسوة ومكانا للرحمة والرفق والتوجيه بالوسائل الحسنة فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة عليك بالرفق فإن الرفق لا يكون في شيئ زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه[١٨] والإسلام يهدف الي ايجاد المسلم اللطيف الرقيق

الرفيق الذي يكره العنف والقسوة الفظاظة والغلظة ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفرون[١٩].

٣ ـ الاستفادة من الخبرات الأنسانية:

من المهام الأساسية للمدرسة نقل خبرات الأجيال السابقة لما بعدها وهذه الخبرات تراث انساني يستفيد به المسلمون بالنافع منه والمتفق مع عقيدتهم ويتركون ما لا تتفق معهم بعد التعرف على جوانب السوء فيه والإسلام دين متطور يدعو التحرر من ربقة التقاليد والأفكار البالية لأن الحرص على المعتقدات الفاسدة بحجة المحافظة على التراث قد يقود إلى الضلال والكفر، وقالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد أباءنا[٢٠] فالحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق بها.

٤ ـ الحب للفضيلة والكراهية للرذيلة لذاتها:

ان التربية الإسلامية تهدف الى جعل الاخلاق عادة في سلوك الإنسان يقول الله تعالى: والذي صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبي الدار[٢١] فمحك الفضيلة والكمال الخلقي ان يصدرالعمل عن طبيعة ثابته في حب الخير سرا وعلنا ولذلك وسع الإسلام في دائرة الخير فجعل كل فعل خير صادر من المسلم نحو المسلم صدقة حتي الامساك عن الشر صدقة كما وصفهم الله تعالى: ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان[٢٢] فالذي صبغ نفسه على حب الفضيلة يكره بداهة الرذيلة والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (اعينوا أولادكم على البر)[٢٣] العلم هو حجر الزاوية في العملية التربوية كما يقولون فالمدرسة تقوم بدورها

بواسطة المعلم لذلك كان لا بد من اعداده لمهمته واختياره من النخبة الطيبة.لذلك ذكر علماء التربية قديما وحديثا عدة صفات لا بد أن تتوفر في المعلم وقد حصر القدماء هذه الصفات في كلمات. فابن سينا يقول: ينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلا ذا دين، بصيرا برياضة الاخلاق، حاذقا بتخريج الصبيان، وقورا رزينا، غير كزولا جامد، حلوا لبيبا ذا مروءة ونظافة ونزاهة[٢٤] ومن خلال تلك الأراء نستطيع ان نحدد الصفات الواجب توفرها في المعلم المسلم فيما يلي:

الف: الورع العدل يقول الرسول صلى الله عليه وسلم واعدلوا بين ابناءكم[٢٥] والمعلم أب لاولاده يوجههم الي الخير.

ب ـ الاخلاص في العمل، لأن الله تعالى لا يقبل من العمل الا ماكان خالصا لوجهه وكل عمل يبتغي به المرء وجه الله فهو عبادة. ولذلك يقول الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)[٢٦] وقد أوصى هشام بن عبد الملك معلم ابنه بقوله: ان ابني هذا هو جلدة ما بين عيني وقد وليتك تأديبه فعليك بتقوي الله. وأداء الأمانة وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله الخ[٢٧]

ج ـ الالتزام بالإسلام والعمل له: ان المسلم المعلم في حقيقة الأمر داعية الي الله على بصيرة وادراك كما قال الله تعالى: "قل هذه سبيلي ادعو الي الله على بصيرة أنا ومن اتبعني[٢٨] " فالربط بين الأقوال والأعمال دليل على الالتزام الأخلاقي بالإسلام ليس الالتزام الفكري فقط.

ان المدرسة تمثل نافذه الحياة بالنسبة للأطفال يعيش فيها الطفل وقتا كبيرا من يومه ليتزود بالمعارف والتعاليم والخبرات التي تجعله قادرا على اقتحام الحياة والتكيف

معها وأداء رسالته فيها وتحقيق سر وجوده في الأرض وهو معرفة الله وعبادته.

رابعا: المجتمع:

يقول الله تعالى: والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا[٢٩] وهذه الآية توضح لنا ان التربية لا تتم الا في أطار اجتماعي وداخل مجتمع مسلم نظيف لأن الطفل لا يمكن تربيته بعيدا عن المؤسسات الاجتماعية مثل البيت والمسجد والمدرسة ووسائل الأعلام وغيرها لما لهذه المؤسسات من أثر تربوي فعال ولما للعادات والتقاليد والأخلاقيات الاجتماعية من تاثير على الطفل. وأن المجتمع المسلم قائم على نبذ العنصرية والوطنية والاقليمية وعلى الحرية المبنية على العبودية الكاملة لله وحده، كما أنه مجتمع الأخوة والمساوات والكفاية والعدل بين المسلمين الذين يتساوون في الواجبات والحقوق: المسلمون عدول يسعي بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .. فالمجتمع عامل تربوي فعال يحتاج إلي تضافر المؤسسات في تحقيقه لمسئولياته التربوية التي يمكن الإشارة إلي بعضها فيما يلي:

١ـ التعاون على البر والتقوي:

والله سبحانه وتعالى يقول: وتعاونوا عل البر والتقوي ولا تعاونوا على الإثم والعدوان[٣٠] لأن التعاون على البر والتقوي هما وسيلتا المجتمع لنشر الفضيلة والخير ومحاربة الرذيلة والشر فوسائل التربية الحديثة من صحافة واذاعة وتليفزيون وغيرها من وسائل الأعلام كل منها معلم يملك أذواق البشر وأسماعهم وأبصارهم فإذا وجهت وجهتها الصحيحة كانت وسائل خير ورحمة وتعليم وتثقيف وإذا تركت على ما هي عليه من نشر السموم والأغاني المائعة والتمثيليات الهابطة والكذب الدائم والسخافات والأباطل كانت وسائل دمار وهدم لجهود مؤسسات التربية الأخري كالبيت والمدرسة والمسجد. فواجب الدول

أن تطهر مؤسساتها من كل ما يعوق تربية أجيالها على الحق والفضيلة والبر والتقوي وأن تحارب هذه الأجهزة وتجعلها تتكيف مع طبيعة المجتمع وعقائده ونظمه، ولا يتم التعاون على محاربة الإثم والعدوان الا بإغلاق مظاهر الفساد الإجتماعي وتوجيه الثقافة التي يتاثر بها الأطفال والكبار إلي الثقافة التي يبني المجتمع عليها وحماية الشباب من المؤثرات الثقافية الدافعة للفساد، والإسلام يوجه توجيهات كثيرة في هذه الناحية فالله سبحانه يقول: قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي،[٣١]

والرسول صلى الله عليه وسلم يحذر الرجل يرتكب عملا بالليل وينشره بالنهار وقد ستره الله لأن عمل الشر اثم ونشره عن طريق اذاعته اثم آخر لا يفعل ذلك إلا المجن الذى لا يستحى واذاعته الفاحشة مضر للمجتمع من الناحية التربوية فكيف به اذا تولته أجهزة في الدولة وبأموال المسلمين والله لا يحب الجهر بالسوء من القول او الفعل فواجب المجتمع التعاون على ازالة الإثم والفواحش الي درجة قتال المفسدين في الأرض وقتلهم: انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا او تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفو من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم[٣٢] كما يحث الإسلام الفرد في النيابة عن المجتمع في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من رأي منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فلبسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان.[٣٣]

والمجتمع المسلم هو الذي يقوم على التقوي ويطالب افراده بذلك والحض على التقوي كثير في القرآن باعتبار التقوي مصدرا لسلوك المسلم فردا وجماعة فالمتقون هم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله يؤمنون بالآخر وباللكتب المنزلة والموفون بعهدهم إذا

عاهدوا والصابرون في البأساء والضراء والمنفقون فيهما والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس المحسنون الذين يذكرون الله ليلا وسحرا والمستغفرون، فالتقوى هي وصية الله الدائمة لكل أمة على لسان الأنبياء هي خير زاد للمسلم وخير لباس له والمتقون هم أولياء الله وهم سبب سعادة المجتمع وأساس بنائه وسبب الرزق والانفساح الاقتصادي وسبب النجاة من كل ضعف والوصول الى الجنة التي اعدت للمتقين.

والمجتمع المسلم هو الذي نتعمق فيه بالممارسة معاني الود والرحمة والإيثار والتضحية. ان المجتمع المسلم هو الذي يقوم بدوره في مساعدة الأباء على تربية ابنائهم على اخلاق الإسلام وتقاليده بحيث انهم ان خرجوا إليه وجدوا فيه ما تعلموه من الوالدين فلا يسمع كلمة نابية أو لفظا جارحا ولا يرى مظهرا للغش او الخداع وهو يتباع ويتعامل في الخارج ويجد مدرسيه في حرص أبويه على المثل الإسلامية فلا يسمح له الغش في الامتحان او يعطي ما لا يستحقه ارضاء للمدير أو جنسيته..

اننا لا نستطيع تربية أطفال صالحين في بيئة اجتماعية فاسدة كما لا تستطيع ان نزرع أرضا دون تهيئة هذه الأرض لان أدواء لمجتمع كلها معدية تنتقل اليهم شاؤا أم ابوا.

ان الدولة تستطيع توجيه الوسائل الاجتماعية كلها بدءا بالأسرة والمدرسة وأجهزة الأعلام في خدمة التربية وقد وجه الإسلام الى تكوين جماعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مزودة بالخبرات والأساليب التربوية الصحيحة توجه المجتمع من داخله وتراقب ما يجد من انحراف في السلوك للأفراد أو المؤسسات او الدولة نفسها ثم تعالج الامور بحكمة وموعظة حسنة متعاونين ما افراد المجتمع في ذلك: ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون[٣٤]

ان الدول تشرع كثيرا من القوانين لحماية ما يسمي بالنظم الاشتراكية والمكتسبات الثورية وما إلي ذلك فما الذي يمنع المجتمع المسلم من سن القوانين والنظم التي تكفل حماية المجتمع ونظمه وتقاليده ويوقف مظاهر الفساد والاخلال ويحمى النشء والأمة من كل ما يدنس أخلاقها او ينحرف ويزيل هذا الصراع المستمر بين التعاليم التربوية والاغراءات الخارجية. ان الإسلام يطالب الأسر بالتعاون فيما بينها بتعليم الأسر المتعلمة للأخري حتي يتحقق التعاون على البر في الواقع الحياة يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: فيما رواه علقمة عن ابيه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأثني على طوائف من المسلمين خيرا ثم قال: ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة[٣٥].

فالرسول صلى الله عليه وسلم يبين لنا ان المجتمع ان يتخذ سلطته عن طريق القوانين اللتي تكفل سلامة المجتمع وتربيته وتعليمه حتي تحقق الاهداف التربوية للمجتمع المسلم.

خامسا: الوراثة والبيئة:

اثبت العلم حديثا ان الأطفال يرثون الصفات الثابتة فيهم من أبويهم كما يرثون الصفات الشكلية فيهم، وان الأطفال يحملون خصائص أصولهم وإن بعدت المسافة الزمنية بينهم وبين أصولهم.

فالبشرية كلها تشترك في الصفات التي تميز الانسان عن غيره من المخلوقات

وتورث هذه الصفات جيلا بعد آخر ولكن هناك صفات خاصة إلي جانب الصفات العامة تتميز بها امة ما في مكان ما عن الأمم الأخري وهي التي تميز بما الأفريقي عن الآسيوي والشرقي عن الغربي ثم يتدرج هذا التمايز في الصفات إلي مستوي الأبوين اللذين يورثان الوانهما وأشكالهما وطبائعهما لأبنائهما وتختلف نسبة الصفات الموروثة من الأب والأم والمقدار الذي يرثه من كل منهما، وقد لا يرث الأبناء صفات آباءهم الأقرباء ولكن تظهر هذه الصفات في الأجيال التالية ولذلك نجد الطب الحديث يبحث في الأمراض عما إذا كان المرض موجودا في العائلة أو قد وجد في جيل سابق كما أن العلم يقول أن الأبناء يرثون الاستعداد للشيء كالاستعداد للنبوغ او الغباء او الإصابة بامراض معينة او الانحرافات الخلقية وما إلي ذلك وهنا يظهر دور البيئة في نمو تلك الاستعدادات.

والبيئة تطلق على ما يحيط بالإنسان من أناس وبحار وبلاد وارض وأجواء، وكما ان النبات لا يعيش وينمو ويثمر الا اذا وجد التربة الصالحة والماء والهواء والضوء فكذلك الانسان في جانبه المادي يتاثر بالناحية الجغرافية في البيئة من بحار وأنهار وأجواء وطبيعة وجبال وهضاب وغيره ذلك كما يتاثر بذلك في جانبه العقلي أما بيئة الإنسان الخاصة فهي المنزل والمسجد والمدرسة ودينه ومعتقداته ولغته وتراثه وما إلي ذلك.

وما أثر ذلك كله في التربية بعامة والتربية الإسلامية بخاصة ؟ ان الإنسان إذا نشأ في بيئة صالحة، وأسرة متدينة ومدرسة راقية ورفقة صالحة وأمة خيرة ونظام سياسي عادل وتربية ممتازة كان الشخص المثالي الذي تهدف التربية الي ايجاده اما اذا وجد في بيئة سيئة، أسرة منحلة ورفقة سيئة وأمة شريرة ونظام سياسي جائر وحاكم طاغ متجبر والأنظمة بشرية فاشلة وتربية لا

تقوم على أساس فإن النتائج أفراد فاشلون ودست مصداق لقول الله تعالى: والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا[٣٦]

وقد اثبت علماء الوراثة ان الصفات الجسمية والخلقية والعقلية والغيبة والنفسة لدي الأباء تكون استعدادا لدي الأبناء بما في آباءهم والقرآن الكريم يحدثنا ان ابناء الزناة يحملون استعدادا وراثيا للزنا من آباءهم ولذلك عبر عنه القرآن بقوله: ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا[٣٧] كما ان الأمراض الناشئة من الزنا مثل السيلان والزهري قد تنتقل كاستعدادات وراثية لدي الأطفال، والرسول صلى الله عليه وسلم يقوم محذرا المهاجرين من خمس خصال ذكر منها: ولم تظهر الفاحشة في قوم قط يعمل بها علانية الافشافيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في سلافهم[٣٨] وقد اثبتت الدراسات لحالات المجرمين في جرائم مختلفة علاقة بين المجرم ومن مارس في قرابته نفس الجريمة التي ارتكبها فلذلك يري بعض العلماء ان الزواج بين ابناء السكيرين او المصابين بالأمراض جريمة لان الأبناء يرثون الاستعداد لذلك ولقد استنكر بنو اسرائيل للسيدة مريم ذات السلالة الطاهرة التقية كيف انجبت سيدنا عيسي من الزنا بدعواهم: يامريم لقد جئت شيئافريا يا اخت هارون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا[٣٩]. وبعض العلماء يري ان الاجرام ليس وراثيا انما هو أثر من آثار البيئة على الإنسان فإذا أخذ الأولاد من الأباء السيئين ونشاؤا في بيئة طيبة نشوا عكس آباءهم. ان أهمية البيئة والوراثة كوسائل تربوية ان دراستهما ومعرفة حدودهما ومدى تاثيرهما في الإنسان يجعل التربية مبنية على أسس علمية لاعتبار كل منهما عاملا مكونا للعقل والجسم والخلق مع الآخر بدرجة تجعل من الصعب اعطاء دور كل منهما كما يفعل البعض نسبة معينة

تابتة فإذا لم توجد البيئة الصالحة للعبقري فإن عبقريته تموت وتندثر، كما أن البيئة الراقية لا تلد العباقرة والفلاسفة وإنما يوجد العبقري في البيئة الصالحة يكون انتفاع الأمة بأبنائها ولأبناء بإمكاناتهم ومواهبهم.

وصلي الله على النبي وآله وسلم

الهوامش

[١] الروم ٣٠ / ٢١

[٢] احمد بن حنبل، المسند، ٩٤/٣

[٣] البخاري، الجامع الصحيح "فتح الباري" ١٠ /٤٢٦ (كتاب الأدب)

[٤] الترمذي، السنن، ص ٢٨٥ (ابواب البر)

[٥] طه ١٣٢/٢٠

[٦] الغزالي، احياء علوم الدين، ١٤٦٨/٨

[٧] مسلم، الجامع الصحيح، ١٩٩٤/٤ـ ١٩٩٥ (كتاب البر والصلة)

[٨] النور ٣٧/٢٤

[٩] النور ٢٤ / ٢٨٧ ؛ التوبة ١٠٩/

[١٠] مسلم، الجامع الصحيح، ٢٠٧٤/٤ (كتاب الذكر)

[١١] البخاري، الجامع الصحيح "فتح الباري" ٥٦١/١ (كتاب الصلاة)

[١٢] البخاري، الجامع الصحيح "فتح الباري" ٥٥٦/١ (كتاب الصلاة)

[١٣] راجع الشلبي، تاريخ التوبية الإسلامية ص ١١٤

[١٤] مسلم، الجامع الصحيح، ٤/ ١٨٣٠ (كتاب الفضائل)

[١٥] الغزالي، أحياء علوم الدين، ١٤٧٣/٩ـ ١٤٨١

[١٦] البقرة ٢ / ٢٨٦

[١٧] البخاري، الجامع الصحيح، "فتح الباري" ١٧٥/١ (كتاب العلم)

[١٨] مسلم، الجامع الصحيح، ٤/ ٢٠٠٤ (كتاب البر والصلة)

[١٩] مسلم، الجامع الصحيح، ١٣٥٨/٣ (كتاب الجهاد)

[٢٠] الأعراف ٧٠/٧

[٢١] الرعد ٢٢/١٣

[٢٢] الحجرات ٧/٤٩

[٢٣] الهيثمي، مجمع الزوائد ٨/ ١٤٦

[٢٤] الابراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها ص ٢٢٥

[٢٥] ابو داؤد، السنن، ٥٠٠/٢ (كتاب البيوع)

[٢٦] البينة ٩٨ / ٥

[٢٧] الابراشي، التربية الإسلامية، ص ١٤٦

[٢٨] يوسف ١٢ / ١٠٨

[٢٩] الأعراف ٥٨/٧

[٣٠] المائدة ٢/٥

[٣١] الأنعام ١٥١/٦

[٣٢] المائدة ٣٣/٥

[٣٣] مسلم، الجامع الصحيح، ٦٩/١ (كتاب الإيمان)

[٣٤] آل عمران ٣ / ١٠٤

[٣٥] السيوطي، الدرالمنثور، ٣٠١/٢

[٣٦] الأعراف ٥٨/٧

[٣٧] الأسراء ١٧ / ٣٢

[٣٨] ابن ماجة، السنن، ١٣٣٣/٢ (كتاب الفتن)

[٣٩] مريم ٢٨/١٩